EDITORIAL

الكِبْر في ضـــوء القـــرءان الكـريـــم
تعريفه وأقسامه وآثاره وعلاجه
(دراسة موضوعية)

د.أبا سفيان محمد الحاج*

الملخص

هذا بحث في التفسير الموضوعي يهدف إلى تبيين داء الكبر وخطره على الفرد و الأمة، وذلك من منظور قرءاني، في دراسة موضوعية ارتكزت على استقراء آيات القرءان الكريم، ذات الصلة بالموضوع. والرجوع إلى تفسيرها من التفاسير المعتبرة والصحيحة الخالية من الإسرائيليات. وخلُص هذا البحث إلى تعريف الكبر وهو تقدير زائف للذات يجعل المتصف به ينازع الله سبحانه وتعالى في صفة من صفاته فهو على خطر. ومن سلفه إبليس -عليه اللعنة- أول المتكبرين وقد بيَّنتُ أسباب الكبر ودوافعه وآثاره وأنه يؤدي إلى عدم قبول الحق وكتبت عن علاجه مسترشداً بهدي القرءان الكريم وسنة النبي ρ .وقد تبين بذلك مدي إعجاز القرءان في بيانه ومعالجته للقضية الواحدة من خلال عرض الآيات لها صلة بالموضوع المعين .

* أستاذ التفسير وعلومه المساعد – جامعة البطانة -كلية التربية – رفاعة.

EDITORIAL

مقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، القائل في محكم تنزيله:﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾[1].

والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. اللهم صل على خير خلقك وخاتم رسلِك، وعلى آلهِ وصحبِه وسلم تسليماً كثيراً.

فإنَّ أجلَّ علم صُرِفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، وترجع أهمية الموضوع إلى تعلُّقِهِ بكتاب الله تعالى الخالد، وتخصيص موضوع الكبر في ضوء القرءان الكريم له صلة وثيقة بالحياة في واقعها. ويهيئ جواً علمياً لدراسته بعمقٍ وشمول يجعل الفائدة في جمعه كموضوع له وحدته وارتباطه مع بعضه ارتباطاً وثيقاً هي إبراز معالمه وتجليها. وتكمن أهمية هذا الموضوع في تأصيله لموضوع الكبر بالنظر في كيفية حديث القرءان عنه ومعالجة أوضاع الفرد والأمة من هذا الداء الخطير. فهو مرتبط بالحياة و مرتبط بالقرءان، ومرتبط بالواقع الذي نعيشه. ويبين هذا البحث مدى إعجاز القرءان الكريم في بيانه ومعانيه.فجاء هذا البحث ليسهم في قضية علاج هذا الداء الذي لم يسلم منه إلا من رحم الله في ظل القرءان الكريم وسنة النبي ρ.

تعريف الكبر:

مأخوذ من مادة كبر وتدور هذه المادة على معاني كثيرة، جاء في لسان العرب مادة (كبر): الكبير هي صفة الله سبحانه وتعالى العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده ، والكبرياء عظمة الله جاء على وزن فِعْلِياء"[2]، قال ابن الأثير[3]:" في

أسماء الله تعالى المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء وقيل: معناه المتعالي على صفات الخلق، وقيل المتكبر على عتاة الخلق والتاء فيها للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف[4].

والكبرياء العظمة والملك، وقيل هي كمال الذات وكمال الوجود لا يوصف بها إلا الله سبحانه وتعالى، وهي من الكبر وهو العظمة، ويقال كبُر بالضم أي عظُم فهو كبير، الكبَر نقيض الصغر وكِبَراً وكُبْراً فهو كبير وكُبار وكبَّار، والمؤنث بالهاء. وقوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَكَبِيرُكُم الذِي عَلَّمَكُم السِّحْرَ**﴾[5] معلِّمكم ورئيسكم، وأكبرت

---

1 الإسراء الآية 9

2 ابن منظور –لسان العرب -دار صادر –بيروت - –الطبعة الأولى –بدون تأريخ. مادة كبر

3 ابن الأثير: عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير ت 699هـ - الباباني -هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين –إسماعيل بن محمد –دار إحياء التراث العربي-الطبعة الأولى –بدون تأريخ 114/1

4 بن منظور- لسان العرب مادة كبر

5 سورة طه الآية 71

EDITORIAL

الشيء أي استعظمته، واستكبره رآه كبيراً، وأما قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾[6] فأكثر المفسرون على أن معناه أعْظَمْنَهُ[7].ويقال ورثوا المجد كابِراً عن كابرٍ أي أكبر عن أكبر وفي حديث الأقرع والأبرص[8] "ورثته كابراً عن كابرٍ" أي ورثته عن آبائي وأجدادي كبيراً عن كبيرٍ في العز والشرف.

وجاء في لسان العرب: الاستكبار: الإمتناع عن قبول الحق معاندةً وتكبراً. أما قولهم "الله أكبر" فإنَّ بعضهم يجعله بمعنى كبير وحمله سيبويه على الحذف، أي أكبر من كل شيء كما تقول أنت أفضل، تريد: من غيرك.

والتكبير التعظيم وقيل معنى الله أكبر: أكبر من أن يعرف كنه كبرياءه وعظمته[9].

والكِبَر في السن : كبُر الرجل بمعنى طعن في السن، والكِبَر مصدر الكبير في السن من الناس والدوابّ.

وحكى ابن الأعرابي: ما كبرني إلا بسنة أي ما زاد عليَّ إلا ذلك. وكل ما جسُم فقد كبر وجاء في القرءان الكريم:﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً ممَّا يكْبُرُ في صُدُورِكُم فَسَيَقُولونَ مَنْ يُعِيدُنَا**﴾[10] ومعناه كونوا أشد مما في صدوركم وفي أنفسكم فإني أميتكم وأبليكم.

ويقال رجل كبير وكبَّار، قال الله عز وجل:﴿ **ومَكَروا مَكْراً كُبَّاراً** ﴾[11] وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث:" ليعذبان وما يعذبان في كبير"[12] أي ليس في أمر كان يكبر عليهما ويشق فعله لو أراداه.

والكبير والصغير في الأشياء المتباينة التي تقال عند اعتبار بعضها البعض فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيءٍ وكبيراً في جنب غيره.

قال تعالى:﴿ **ويَسْأَلُنَكَ عنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِير**﴾[13] قال ابن عباس رضي الله عنهما: فيهما "يعني ما ينقص من الدين عند من يشربها"[14].

---

6 سورة يوسف الآية 31

7 ذكر الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية وقال فيها " فلما رأينه أكبرنه" قال يقول جل ثناؤه ، فلما رأينه أعظمنه وأجللنه وعزى ذلك لمجاهد وقتادة والسدي وأبي زيد وابن عباس رضي الله عنهما ، انظر الطبري 75/16

8 مسلم ، كتاب الزهد و الرقائق214/14 رقم 5265

9 ابن منظور مادة كبر

10 سورة الإسراء الآية 52

11 سورة نو ح الآية 22

12 البخاري - باب الغيبة- 485/186 برقم 5592 ومسلم 147/2 برقم 439

13 سورة البقرة الآية 219

14 الطبري - 320/4

EDITORIAL

وقال تعالى:﴿ **وقَالُوا ما لهَذا الكتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً إلا أحْصَاهَا**﴾[15].وقوله تعالى ﴿**وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[16] وصفه الأكبر تنبيهاً على أنَّ العمرة هي الحجة الصغرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي العاص[17] وقال فيه:" وفدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فوجدني أفضلهم أخذاً للقرآن قد فضلتهم بسورة البقرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمَّرتُكَ عليهم ... إلى أن قال وأعلم أنّ العمرة هي الحج الأصغر.."[18].والكبير في السن فلان كبير إذا كان مسن قال تعالى:﴿ **إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدهمَا أوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍ**﴾[19]. وقوله تعالى:﴿ **وقَد بَلَغَني الكبر**﴾[20] وقال تعالى:﴿ **وأصَابَهُ الكِبَر**﴾[21] ومنه ما اعتبر فيه المنزلة والرفعة نحو قول الله تعالى:﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾[22]، وحكى القرءان الكريم قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام:﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ** ﴾[23] فسَمَّاه كبيراً على حسب إعتقادهم فيه لا لقدرةٍ أو رفعةٍ له على الحقيقة. وعلى هذا جاء قوله تعالى:﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كبِيرهم هَذَا ...**﴾[24] وقوله تعالى:﴿ **وكَذَلِك جَعَلْنا في كُلِّ قَرْيةٍ أكَابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها**﴾[25] أي رؤوسها، وقوله تعالى:﴿**إِنَّهُ لَكَبِيرَهم الذِي عَلَّمَهُم السِّحْر**﴾[26] أي رئيسكم ومن هذا المعنى يقال ورثه كابراً عن كابر.

أما الكبائر فهي الذنوب العظيمة، قال تعالى:﴿ **الذِينَ يَجْتَنِبونَ كَبَائِرِ الإثم والفَوَاحِش**﴾[27]، وقوله تعالى:﴿ **إنْ تَجْتَنِبوا كَبَائِرِ ما تُنْهَونَ عَنْه نكَفِّرُ عَنْكُم سِيئاتِكُم**﴾[28] قيل المراد به الشرك لقوله:﴿**إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم**﴾[29]

---

15 سورة الكهف الآية 49

16 سورة التوبة الآية 3

17 عثمان بن أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس بن عبد مناف انظر -ابن عبد البر -الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـــدار حياء التراث بيروت ج313/3

18 الطبراني - المعجم الكبير 427/2 رقم 8249

19 سورة الإسراء الآية 23

20 سورة آل عمران الآية 40

21 سورة البقرة الآية 266

22 سورة الأنعام الآية 19

23 سورة الأنبياء الآية 58

24 سورة الأنبياء الآية 63

25 سورة الأنعام الآية 123

26 سورة طه الآية 71

27 سورة النجم الآية 32

28 سورة النساء الآية 31

29 سورة لقمان الآية 21

EDITORIAL

وقيل هو الشرك وسائر المعاصي الموبقة كالزنا وقتل النفس المحرَّمة، لذلك قال تعالى:﴿**إِنَّ قَتْلَهُم كَانَ خِطْأً كَبِيراً**﴾[30]، وقال عن الخمر والميسر:﴿ **قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ للنَّاسِ وإِثْمهما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهما**﴾[31].

وتستعمل في ما يشقُّ ويصعُب من الأمور، قال تعالى:﴿ **وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ**﴾[32]، **وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾**[33].

وأما قوله تعالى:﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[34]."أي شقّ عليهم وعَظُمَ عليهم "ما تدعوهم إليه" من التوحيد ورفض الأوثان"[35].

وقوله تعالى:﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً**﴾[36] فيه تنبيه على عظم ذلك بين الذنوب وعظم عقوبته.

وقوله تعالى:﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾**[37] إشارة إلى من أوقع حديث الإفك وتنبيهاً لكل من سنَّ سنّة قبيحة ويصير مقتدى به فذنبه أكبر.

فهذا حديثٌ عن معاني مادة كبر ومشتقاتها التي وردت في بعض كتب اللغة وقد أتبعها بآيات ذكرت فيها مادة كبر) ويكاد محور المادة يدور حول التعالي والعظمة والزيادة .وذلك بالرجوع إلى بعض تفاسير الآيات المذكورة. و من هذا تتضح لنا معاني مادة كبر في الناحية اللُّغوية.

إنَّ الكبْر صفة مذمومة ونهى الله سبحانه وتعالى عنه وقد بيَّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم خطره وحذَّرنا منه وبين لنا عاقبته.

وعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم تعريفاً جامعاً وواضحاً ومختصراً فقد قال صلى الله عليه وسلم:" لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر، قال رجل:" يا رسول الله الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"[38] ومعنى بطر الحق: أي دفعه وإنكاره ترفُّعاً وتجبُّراً، وغمط الناس: احتقارهم[39].

---

30 سورة الإسراء الآية 31

31 سورة البقرة الآية 219

32 سورة البقرة الآية 143

33 سورة البقرة الآية 45

34 سورة الشورى الآية 13

35 القرطبي 9/12

36 سورة الكهف الآية 5

37 سورة النور الآية 11

38 مسلم- باب تحريم الكبر وبيانه 247/1 برقم 131 ، أبي داوود -السنن– ت.أحمد سعد على –الطبعة الأولى – الحلبي- مصر- 1371هـ باب ما جاء في الكبر 129/11 رقم 3569 .

39 النووي- شرح صحيح مسلم للإمام 194/1

EDITORIAL

ويُفْهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المتكبر هو الذي يَرُدُّ الحق على قائله وهو يعلم أنَّه محقٌ إما لكونه صغيراً أو فقيراً أو تلميذاً ضعيفاً أو نحو ذلك فيقول في نفسه: كيف أرجع عن رأي لقول هذا التلميذ أو الصغير وأنا أكبر منه علماً أو سناً.

وبهذا المعنى نجد أنَّ كثيراً من الآباء لا يقبلون نصح أبنائهم ظناً منهم أنَّ في ذلك إظهاراً لضعفهم، أو كأنهم يرون أنه لا يتصور أنْ يخطئوا في أمر ويصيب أولادهم، وهذا معنى من معاني الكبر.

وهناك تعريف آخر للكبر فيه معنى مناسب وهو أنَّ الكِبْر:" هو تقدير زائف للذات مصحوب باحتقار الناس والترفع عليهم"[40].

وهناك تعريف آخر هو: حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على غيره بالقول أو الفعل[41].

ومن تعريفات الكبر: هو أنْ يعتقدَ الإنسان أنَّه يتميز عن غيره بمال أو جاه أو نسب أو جمال أو غيرها[42].

ولا تخرج جميع هذه التعريفات عن تعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن تعريفه صلى الله عليه وسلم -لا شك- أنه أصح وأشمل وهو بطر الحق أي دفعه، وغمط الناس أي احتقارهم، وذلك باستشعار ما يميزه عنهم. ودفع الحق بمعنى عدم قبوله ورده وعدم الإقتناع به والرجوع إليه، وهذا داءٌ خطيرٌ وضده التواضع وهو قبول الحق مع من كان.

والمتكبر متعصبٌ لقوله وفعله حتى لو علم بطلانه، وذلك هو الذي حمل إبليس -عليه اللعنة- على عدم الإنقياد للأمر بالسجود لآدم -عليه السلام، وهو داء الأولين والآخرين إلا من رحم الله. قال تعالى:**﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾**[43] فقد قال الله سبحانه وتعالى إنَّهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصافِهِ كما يعرفون أبناءهم ولكنهم قومٌ لا يتواضعون للحق.

وخلاصةُ القول فيه أنه خلقٌ ذميمٌ يبعث على احتقار الناس وردِّ الحق، وذلك لاعتقاد شيء في نفسه، كتميزه بعلمٍ أو مالٍ أو نسبٍ أو وجاهةٍ أو جاهٍ أو منصبٍ أو غير ذلك، ولذلك يعظم في نفسه ويحقِّر غيره.

وهذا الخلق بهذه الصفة خطرٌ موردٌ للمهالك ومهما رأى الإنسان الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" بحسب امْرِئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم"[44].

أنواع الكبر:

---

40 www.gulflobby.com/lobby

41 الموقع السابق

42 الموقع السابق

43 سورة البقرة الآية 146

44 مسلم- باب تحريم ظلم المسلم وخذله 103/16 رقم 6493

EDITORIAL

ينقسم الكبر باعتبار المتكبر إلى قسمين:

كبر ظاهر: وهو أعمال تصدر عن الجوارح.

كبر باطن: وهو خلق في النفس، وهو أحق بهذا الاسم لأنَّ الأعمال الظاهرة ثمرات لهذا الخلق. وخلق الكبر موجب للأعمال فإذا ظهرت على الجوارح يقال الكبر[45].

ينقسم الكبر باعتبار المتكبر عليه إلى:-

التكبر على الله:

وذلك أفحشُ أنواع الكبر ولا مُثار[46] له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من النمرود فقد كان يحدِّث نفسه بأنْ يقاتل رب السماء، وقد ذكر القرءان الكريم محاورته لسيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[47]، قال الإمام ابن كثير: الذي حآجَّ إبراهيم في ربِهِ هو النمرود بن كنعان، وما حمله على ذلك إلا الطغيان والكفر وطول مدته في الحكم، لقوله تعالى:﴿ **أَنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ**﴾ قيل ملك الأرض لمدة أربعمائة سنة ولمَّا ادعى المكابرة، قال إبراهيم:" فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر ... " أي أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجَّة، قال تعالى:" واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالِمِين" أي لا يلهمهم حجَّةً ولا برهاناً بل حجتهم داحضةٌ عند ربهم[48].

وقد حكى القرءان الكريم نموذجاً آخراً من التكبر على الله، وذلك في قصة فرعون، قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾[49]

يقول الله سبحانه وتعالى مُخْبِراً عن فرعون وعتوِه وتمرُدِه وافتراءه في تكذيب موسى -عليه السلام -أنّه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً وهو القصر العالي"[50] أراد بذلك أن يوهم رعيته أنَّه بهذا الصرح يثبت

45 الغزالي -إحياء علوم الدين -- دار المعرفة – بيروت- بدون تأريخ- باب حقيقة الكبر- 30/3

46 مثار له: بمعنى باعث له

47 سورة البقرة الآية 258

48 ابن كثير - تفسير القرءان العظيم 525/1

49 سورة غافر الآيات 35- 37

50 ابن كثير - تفسير القرءان العظيم 7 /130

EDITORIAL

به تكذيب موسى -عليه السلام- ولهذا قال الله عز وجل:"ومَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا في تَبَابٍ"، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: أي يعني إلا في خسار"[51].

وهذا نوعٌ من التعالي على الله سبحانه وتعالى، ومنه قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[52] ذكر ابن عاشور في هذه الآية،

فقال:" تعليل الأمر بالدعاء تعليلاً يفيد التحذير من إباية دعاء الله حين الإقبال على دعاء الأصنام[53]،قال تعالى:﴿**ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا** ﴾[54].

أما قول فرعون لعنه الله:﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً...** ﴾[55]، يخبر الله سبحانه وتعالى عن كفر فرعون وتجبره وطغيانه وادعاءه الإلوهية لنفسه. قال تعالى:﴿ **فَحَشَرَ فَنَادَى* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى**﴾[56] وبادعائه الإلوهية تكبر وتجبر على الله سبحانه وتعالى وهذا كما قال الإمام الغزالي:" أفحش أنواع الكبر"[57].

التكبر على الرسل:

وهذا هو النوع الثاني من التكبر على الرسل حيث تتعزَّز النفس وتترفع عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس. ويبقى الإنسان في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد ظناً منه أنه محقٌ فيه، وتارةً يمتنع مع المعرفة ولكنْ لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل، فقد قال الله سبحانه وتعالى:﴿ **أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ** ﴾[58] وهذا في حق موسى وهارون -عليهما السلام- حين جاءا إلى فرعون وقومه، قال ابن كثير:" إنَّ فرعون وقومه استكبروا عن إتباعهما و الإنقياد لهما كما أنكرت الأمم السابقة بعثة الرسل من البشر "تشابهت قلوبهم فأهلكهم الله"[59].

وقال تعالى مبيناً حِجَجَ الذين لم يؤمنوا من قبل هي أنَّ الله أرسل إليهم بشراً منهم لا يقتنعون بهم: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ**

---

51 المرجع سابق

52 سورة غافر الآية 60

53 ابن عاشور محمد طاهر بن عاشور -التحرير والتنوير - دار سحنون- تونس- بدون تأريخ 465/12

54 سورة غافر الآية 12

55 سورة القصص الآية 38

56 سورة النازعات الآيات 23 - 26

57 الغزالي 31/3

58 سورة المؤمنون الآية 47

59 ابن كثير 114/4

EDITORIAL

يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ [60]، ذكر الإمام ابن كثير في تفسيرها، أنَّ أكثر الناس لم يؤمنوا ولم يتابعوا الرسل والسبب في ذلك استعجابهم من بعثة البشر رسلاً، قال تعالى:﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾[61] وقال تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾**[62].

والآيات في استنكار إرسال البشر كثيرة وقد ذكر الله سبحانه وتعالى منبّهاً على عطفه ولطفه ورحمته بعباده أنه يبعث إليهم رسولاً من جنسهم ليفقهوا منه ويتمكَّنوا من مخاطبته ولو بعث الله لهم ملَكاً لما استطاعوا مواجهته ومخاطبته ولا الأخذ عنه، قل تعالى:﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[63].

وقال تعالى:﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾**[64] أي من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشراً بعثنا فيكم رسلاً منكم لطفاً ورحمةً[65]، وقد أدحض الله حجتهم وكشف كِبْرهم على رسل الله، قال تعالى:﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾**[66] ومعنى ذلك لو جعلناه ملكاً لنفروا من مقاربته ولما أنسوا به، وأرعبوا منه فلا تعمُّ المصلحة ولو نقله على صورتهم ليأنسوا به لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشرٌ فلا نؤمنُ بك وعادوا إلى حالهم.

هذا النوع من التكبر على رسل الله قريب من التكبر على الله لأنَّه تكبر على أمر الله، فما بعث الله من رسول إلا وجهت إليه هذه الحُجَّة التي دحضها القرءان الكريم، فكان التكبر على أمر الله وعدم التواضع لرسله.

التكبر على سائر الخلق:

وذلك بأن يعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم، وهذا وإنْ كان دون الأول والثاني، فهو عظيم من وجهين:

---

60 سورة الإسراء 94 - 95

61 سورة يونس الآية 2

62 سورة التغابن الآية 6 – ابن كثير 111/4

63 سورة آل عمران الآية 164

64 سورة الإسراء 95

65 ابن كثير 121/4

66 سورة الأنعام الآية 9

EDITORIAL

أحدهما: أنْ الكبر والعلياء والعز والعظمة لا تليق إلا بالملك القادر، أما العبد الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا تليق إلا بجلاله، وعلى هذا جاء في الحديث:"الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِزَّةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أُلْقِيهِ فِي النَّارِ"67.

والثاني: أنه يدعو إلى مخالفة الله سبحانه وتعالى في أوامره لأنَّ المتكبر إذا سمع الحق من عبدٍ من عباد الله استنكف عن قبوله ولذلك كان من أخلاق المنافقين والكافرين، إذ وصفهم الله تعالى:**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرءانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾**[68] ويحمل ذلك على الأنفة وعدم قبول الوعظ، كما قال تعالى: **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[69].

وفي الحديث عن سلمة بن الأكوع[70] -رضي الله عنه-:"أنَّ أباه حدَّثه أنَّ رجلاً أكل عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشماله، فقال: كُلْ بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت ما منعهُ إلا الكبر فما رفعها إلى فيه"[71].

وهذا واضح في أنَّ الكبر كان سبباً في عدم قبول الحق من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عاقبته كما ذكر الحديث.

أسباب الكبر ودوافعه:

لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني علم أو عمل والدنيوي هو ما يتعلق بأشياء دنيوية كالنسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار".

هذه الكلمات للإمام الغزالي تبين لنا أسباب الكبر بصورة مجملة واضحة وقد ذكر أنها على قسمين إما دينية وهي العلم أو العمل أو دنيوية[72].وإليك بيان ذلك.

1/ مدخل العلم:

فما أسرع الكبر إلى العلماء، فالعالم إذا أفرط في تقييم نفسه وتثمين مزاياه وفضائلها والإفراط في الإعجاب والزهو بها، فيصغر بعد ذلك في نظره من هو حوله، فيصيبه بذلك الداء الخطير، داء الكبر فهو يتكبر إذا

---

67 الإمام أحمد - المسند–ج 138/3 رقم 248

68 سورة فصلت الآية 26

69 سورة البقرة الآية 206

70 سلمة بن الأكوع صحابي ، الأكوع هو سنان بن عبد الله بن قشير . يكنى أبا مسلم وقيل يكنى أبا إياس وقال بعضهم يكنى أبا عامر والأكثر أبو إياس بابنه إياس كان ممن بايع تحت الشجرة ، سكن بالربذة وتوفي بالمدينة سنة 74هـ وهو ابن ثمانين سنة وكان شجاعاً رامياً سخياً خيراً فاضلاً. ابن عبد البر، 194/1

71 مسلم – آداب الطعام 57/7 رقم 3766

72 الغزالي 35/3

EDITORIAL

رأى نفسه عظيماً وأنس في نفسه علماً على غيره. وهذا الأولى به أن يسمى جاهلاً، لأنَّ العلم الحقيقي هو الذي يعرف به الإنسان نفسه وربه، ويعرف عظم وخطر العلم، فيزيده هذا العلم خوفاً وتواضعاً وتخشعاً، فما أجمل العلم والعمل إذا اجتمعا، قال تعالى: ﴿ **إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾"[73] فالعلم الحقيقي هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة، وهذه تورث التواضع غالباً. ومن أعظم ما يتكبر به: العلم، قال تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[74].

2/ العمل والعبادة:

لا يخلو العامل العابد من رذيلة الكبر والعز، فهم يتوقعون قيام الناس لهم وقضاءَ حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى ويرى نفسه ناجياً والناس هالكين. وهو الهالك في الحقيقة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم"[75].

و الله سبحانه وتعالى يريد من الناس قلوبهم، فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبة لله وذلَّ خوفاً منه فقد أطاع الله بقلبه، فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب، قال تعالى:﴿**وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ** ﴾[76] قال الحسن البصري[77]:" لا تمنن بعملك على ربك تستكثره" وقال ابن زيد[78]:لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها ..."[79].

3/ الحسب والنسب:

الذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك وإنْ كان أرفع منه علماً وعملاً، قال تعالى في مشركي قريش: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[80] أي رجل عظيم مبجل في أعينهم، وذلك لأنهم كانوا يزدرون بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهم يعترفون بفضله ونسبه وشرفه وطهارة بيته ومنشئه حتى كانوا يسمونه قبل البعثة بالأمين"[81].

---

73 سورة فاطر الآية 28

74 سورة الشعراء الآية 215

75 مسلم 62/13 رقم4755 عن أبي هريرة رضي الله عنه

76 سورة المدثر الآية 6

77 الحسن البصري: اسمه الحسن بن يسار أبو سعيد إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه وأحد العلماء والفقهاء والنساك ولد بالمدينة وسكن البصرة ، كان غاية في الفصاحة والحكمة ت: 110هـ انظر الصفدي -الوافي بالوفيات 223/2

78 ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي من أتباع التابعين ت: 182هـ انظر الصفدي - 69/6

79 ابن كثير 270/4

80 سورة الزخرف الآية 31

81 ابن كثير 32/2

EDITORIAL

وقد أنزل الله تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾**[82] قال ابن كثير:" يخبر الله تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأوه يتخذونه هزواً يعنون العيب والنقص على سبيل التنقيص والازدراء فقبَّحهم الله"[83].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبيَّة[84] الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمنٌ تقيٌ وفاجرٌ شقيٌ أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنَّما هم فحمٌ من فحمِ جهنَّم أو ليكوننَّ أهون عند الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"[85] في هذا الحديث يحذِّر الرسول صلى الله عليه وسلم من عُبيَّة الجاهلية وهي فخرها وكبرها، ويقول كل الناس بني آدم وآدم من تراب فلا يحق لمن أصله التراب الفخر والكبر. والمعنى أن أحد الأمرين واقع الانتهاء عن الافتخار بالآباء أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعلان الموصوفة وهذا تنفير واضح منه صلى الله عليه وسلم.

4/التكبر بالجمال:

هذا أكثر ما يجري بين النساء ويكون سبباً في الكبر والإفتخار وذكر عيوب الناس إعتزازاً بما عند الشخص من ميزات أعطاها له الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: **﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾**[86] وكانوا يقولون كما قال سبحانه: **﴿أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾**[87] وقالوا: **﴿ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾**[88] ولهذا لأنهم كانوا يرَوْنَ ضعفهم وقلَّة وجاهتهم ولذلك استحقروهم.

5/ التكبر بالمال:

هذا يكون عادةً بين أرباب المال من الأغنياء وغيرهم ويستحقر الغني الفقير ويستصغره ويقول يا مسكين لأنَّه جاهلٌ بفضيلةِ الفقر وآفةِ الغنى، وقد بيَّن القرءان الكريم ذلك جلياً في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: **﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا *وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**

---

82 سورة الفرقان الآية 41

83 ابن كثير 102/6

84 عبية الجاهلية: فخرها وكبرها ابن منظور- مادة عبب 472/1

85 أبو داؤود 156/11 رقم 445

86 سورة هود الآية 27

87 سورة الأنعام الآية 53

88 سورة الأحقاف الآية 11

EDITORIAL

***فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾**[89] فكان ذلك تكبر منه بالمال المتمثل في الجنتين والولد وقد بيَّن الله عاقبة أمره، فقال تعالى:**﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾**[90].

وكذلك المال كان سبباً في إدخال الكِبر على قارون الذي قال الله فيه:**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾**[91] فكانت عاقبته عند الله سبحانه وتعالى:**﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾**[92] قال ابن كثير:" لما ذكر الله تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في صحيح البخاري عند سالم أن أباه حدَّثه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" بينا رجل يجرُّ إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[93]. وهكذا المال يكون سبباً للكبر والفخر والتعالي على الخلق.

6/التكبر بالقوة وشدة البطش:

وهذا من أسباب الكبر الجلية فمتى أحس بتميزه في القوة سطا وتجبر، قال تعالى: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾**[94] جاء في تفسير ابن كثير:" أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون من بأس الله **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾** أي فما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه شديد"[95].

7/التكبر بكثرة الأتباع والأنصار:

ومما يجعل الإنسان يتكبر ويتعالى كثرة الأتباع وهذا واضح في قصة أبي جهل عندما مَرَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام، فقال:" يا محمد ألم أنهك عن هذا وأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: فقال يا محمد بأي شيء تهددني أما والله إني لأكثر أهل هذا الوادي نادياً، فأنزل الله قوله

---

89 سورة الكهف الآيات 34 - 40

90 سورة الكهف الآية 42

91 سورة القصص الآية 79

92 سورة القصص الآية 81

93 ابن كثير 230/6 والحديث في البخاري- باب من جر ثوبه خيلاء 335/16 رقم 3544

94 سورة فصلت الآية 15

95 ابن كثير 154/3

EDITORIAL

تعالى:﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾[96]، قال ابن عباس ر ضي الله عنه:"ولو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب"[97].

ويحكي الله سبحانه وتعالى تقريع أهل الأعراف لرجال الكفر من صناديد المشركين وقادتهم وهم يعرفونهم بقولهم:﴿**مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[98] لم تنفعكم كثرتكم التي قد تكبرتم بها ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب.

وقد ذمَّ الله المتفاخرين بكثرتهم وقال لهم:﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ [99] فعن ابن بريدة[100] قال:" نزلنا في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث وتفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما فيكم مثل فلان بن فلان، وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك، فنزلت:" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ..." قال ابن كثير: كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعز من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم[101].

هذا في أحد تفسيرات هذه السورة، والبيان واضح في أن التكبر بكثرة الأتباع والأنصار يجعل الإنسان يتعالى على غيره مما يدخله في دائرة الكبر. فالملوك يتكاثرون بالجنود والعلماء بكثرة المستفيدين.

وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقدها كمالاً أمكن أن يتكبر بها.

ما لا يعد من الكبر:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ..."[102]، وفي رواية الترمذي:" ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس"[103] وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، فقال رجل يا رسول الله !! إني ليعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً، ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً،

---

96 سورة العلق الآيات 17 - 18

97 الطبري 345/18

98 سورة الأعراف الآية 48

99 سورة التكاثر الآيات 1 - 2

100 ابن بريدة: هو سلمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي من الطبقة الوسطى من التابعين ، ت 105 هـ ، انظر الصفدي 114/5

101 ابن كثير 473/4

102 مسلم – باب تحريم الكبر وبيانه 194/1 رقم 131

103 الترمذي – باب ما جاء في الكبر – 247/5 برقم 1922

EDITORIAL

وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه – أفمن الكبر ذلك يا رسول الله ؟ قال: لا، ذاك الجمال إنَّ الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق، وازدرى الناس"[104].

هذا الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي[105] -رضي الله عنه- لما سمع أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر خشي أن يكون التجمل بالمباحات وإن كان دون إسراف وفي حدود الشرع، فخشي أن يكون التجمل في المظهر من الكبر فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس كذلك، وأن الله جميل، جميل في ذاته، جميل في صفاته ، جميل في أفعاله عز وجل.

فالكبر الذي من كان في قلبه مثقال ذرة منه لم يدخل الجنة هو: بطر الحق وغمط الناس أي دفع الحق وإنكاره ترفعاً وتجبراً، والتجبر على الحق فلا يراه حقاً، والتكبر عن الحق فلا يقبله، وغمط الناس احتقارهم، ولابد أن نقف عند هذه الكلمة بطر الحق فنجد أن مما ابتلينا به في كثير من الأحيان أنْ ندفع الحق ولا نقبله وأن نجادل بالباطل ونحن نعلم ما عرض علينا هو الحق ونترفع عن قبوله ونصد عنه، وهذه ظاهرة خطيرة وهي أساس كل بلاء ، وقد قال الله تعالى عن أخلاق المسلمين:﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾[106] فإذا عرض عليك الكلام وكان فيه الحق فاستمع واقبل، وقبول الحق من العدل الذي أمر الله به، قال سبحانه وتعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ** ﴾[107] أي اشهدوا بالحق واقبلوه ولو على أنفسكم، وإذا سُئلت عن الحق فقل الحق فيه.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بني آدم بالتزين عند كل مسجد، قال تعالى:﴿ **يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ**﴾[108] وفي هذا نجد أن الله أمر بالتزين وأخذ الزينة عند الصلوات ومن السنّة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة والعيدين ويستحب التطيب لأنه من الزينة. والسواك من تمام الزينة. فلا يعد ذلك من الكبر الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما لا يعد من الكبر الخيلاء في الحرب وأمام العدو، فعن جابر بن عتيك[109] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنّ من الخيلاء ما يحب الله وإنّ منها ما يبغض الله فالخيلاء التي يحب الله، اختيال الرجل عند

---

104 الإمام أحمد- مسند عبد الله بن مسعود 135/8 برقم 3800

105 مالك بن مرارة الرهاوي نسبة إلى رهاء بن منبه صحابي جليل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمير ولم أقف على تاريخ وفاته قال عنه ابن عبد البر في الاستيعاب ليس مشهوراً في الصحابة ، انظر ابن عبد البر 422/1

106 سورة الزمر الآية 18

107 سورة النساء الآية 135

108 سورة الأعراف الآية 31

109 جابر بن عتيك: ويقال جبر بن عتيك صحابي جليل من الأنصار شهد بدراً وجميع المشاهد بعدها ت 61هـ وعمره 91 سنة، انظر ابن عبد البر 66/1 .

EDITORIAL

القتال واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله اختياله في البغي والفخر"[110]. يحب الله ذلك عند لقاء الأعداء لما فيها من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه. وعندما تبختر أبو دجانة قال له الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع"[111] والاختيال في الصدقة أن يعطيها بطيب نفس وينبسط بصدره ولا يبالي كم أعطى.

ذم الكبر وخوف السلف منه:

حذَّر الدين الإسلامي من آفة الكبر أشدَّ ما تحذير، وبأساليب مختلفة. فقد رتَّب عليه العقاب الأليم والبعد من رحمة الله وتارة الحرمان من الجنة وعدم محبة الله للمتكبرين ومحاربة الله لهم. ورغب في ضده وهو التواضع، أمر به ورتب عليه الجزاء العظيم والرفعة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:﴿ **فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[112] هذا جزاءهم وهو الخلود في جهنَّم إلى الأبد. وقال تعالى:﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ*يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[113] رتَّب الله على الاستكبار الويل ولأنهم استكبروا عن سماع الحق فأصروا واستكبروا استكباراً.

وقال تعالى بياناً لعدم حبه للمستكبرين:﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾[114] وقال تعالى:﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾.[115] وقال تعالى:﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[116].

قال الإمام القرطبي في تفسيره:" هذا نهي عن الخيلاء وأمرٌ بالتواضع، والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي، وقيل تجاوزُ الإنسان قدره"، وقال قتادة: هو الخيلاء في المشي وقيل هو البطر والأشر وقيل النشاط

110 أبو داوود – باب الخيلاء في الحرب 258/7 برقم 2286 قال أبو جعفر : فتأملنا هذا الحديث ، فوجدنا فيه أن الخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل بنفسه عند الصدقة وعند القتال ، فكان اختياله بنفسه عند القتال معقولا المراد به ما هو .ومما يزيد من اقتداره عليه وقلة اكتراثه به ، ولما كان ذلك كذلك في الخيلاء عند القتال كان مثله الخيلاء عند الصدقة ؛ لأن المتصدق يعارضه الشيطان ، فيلقي في قلبه نقص ماله بالصدقة التي يحاولها ، ويخوفه الفقر إذا كانت منه كما قال تعالى : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ﴾. انظر الطحاوي مشكل الآثار ت - شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة- ط1-1415 هـ 500/11

111 وفيه: أن أبا دجانة أعلم بعصابة حمراء فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مختال بين الصفين فقال: إنها مشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموضع ، انظر الطبراني 118/6

112 سورة النحل الآية 29

113 سورة الجاثية الآيات 7 – 8

114 سورة النحل الآية 23

115 سورة الأعراف الآية 146

116 سورة الإسراء الآية 37

وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة إلى قسمين أحدهما محمود والآخر مذموم فالتكبر والبطر والخيلاء مذموم وكذلك تجاوز الإنسان قدره، أما القسم الثاني من الفرح والنشاط محمود"[117] وانشدوا:

ولا تمش فوق الأرض إلا تـواضعاً فكم تحتها قوم همو منك أرفع

وإن كنت في حـرزٍ وعـزٍ ومنعةٍ فكم مات من قوم همو منك أمنع[118]

وإذا ألقيت نظرة في القرءان الكريم وتأملته لوجدت أنه كان عاقبة كل من استكبر الخسران المبين.

فقارون – لعنه الله – لما تكبر كان عاقبته الخسران لأنَّه امتنع عن قبول الحق وكان سببه الغنى، قال الله تعالى:﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ*وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ**﴾[119].

فهذه صورة واضحة لمن استكبر بماله وتطاول على الخلق به، فليحذر أشباهه من ذلك. ومما يدخل في هذا المعنى قصة صاحب الجنتين، قال تعالى:" ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾[120] قال قتادة:" تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر"[121].

وقد حذَّر لقمان ابنه من التكبر، قال تعالى:﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً...**﴾[122] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :" لا تصعِّر خدَّك للناس، لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، وقوله لا تمش في الأرض مرحاً، أي خيلاءً وتكبراً، وتكون جباراً عنيداً لا تفعل ذلك فيبغضك الله "إن الله لا يحب كل مختال فخور" أي مختال معجب في نفسه فخورٍ على غيره، قال تعالى:﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[123]. قال القرطبي:"ومعنى الآية لا تُمِل خدك للناس كبراً عليهم وإعجاباً واحتقاراً لهم، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة، وقيل هو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك تحتقره، فالمعنى أقبل عليهم متواضعاً مؤنساً مستأنساً. وإذا حدثك أصغرهم فأصغ إليه حتى يكتمل حديثه وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل"[124].

---

117 القرطبي 260/5

118 لم أعثر على قائل هذه الأبيات ولكن أوردها أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان في تفسير البحر المحيط 347/7

119 سورة القصص الآيات 79 – 81

120 سورة الكهف الآية 34

121 الطبري 160/2

122 سورة لقمان الآية 18

123 ابن كثير 301/4

124 القرطبي 69/18

EDITORIAL

وفي التحذير من الكبر قال الله تعالى:﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً** ﴾[125].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية عن الذين استنكفوا واستكبروا، أي امتنعوا عن عبادة الله وطاعته واستكبروا عن ذلك، فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون ولياً ولا نصيراً"[126]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار"[127].

هذا دليل واضح على أنَّ الكبر آفةٌ عظيمةٌ، فهو عبارة عن إدعاء ما يكون لله وحده ومنازعةٌ له في صفة من صفاته سبحانه وتعالى، والله يقصم المتصف به ويلقيه في جهنم، حتى لو كان مثقال حبةٍ من كبر جاء فيها الوعيد الشديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليُحذر من ذلك.

خوف السلف من الكبر:

هذا عمر بن الخطاب الخليفة الراشد رضي الله عنه يكتب إلى عامله أبي موسى الأشعري:" ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم ولا يبطل الحق شيء وإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل"[128].

هذه وصية عمر رضي الله عنه لعامله أبي موسى الأشعري وهو أول من نفَّذ ذلك على المنبر على مرأى من الناس حين قال:" أصابت امرأة وأخطأ عمر" وذلك في قضية المهور"[129].

فكان عمر رضي الله عنه نموذجاً صالحاً للتواضع والرجوع إلى الحق وقد قال عبارته الذهبية: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي[130]).

---

125 سورة النساء الآية 173

126 ابن كثير 481/2

127 أبو داوود باب ما جاء في الكبر 127/11

128 البيهقي -السنن الكبرى 119/10 والدارقطني 271/10 برقم 4524

129 هي حادثة شهيرة راجعته امرأة حيث قال: لذن بلغني أن أحداً زاد صداقه على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته إلا رددت الزيادة الفضل إلى بيت المال فقالت امرأة لم تحرمنا شيئاً أعطاه لنا الله ؟ وقرأت قوله تعالى :"وآتيتم إحداهن قنطارا ...." سورة النساء الآية 20 فرجع إلى قولها وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر" القرطبي 99/5

130 الرازي- التفسير الكبير للفخر الرازي- المسمى مفاتح الغيب – الطبعة الأولى – المطبعة البهية – مصر 201/17

EDITORIAL

وكذلك كان حفيده عمر بن عبد العزيز عندما قال لعمر بن مهاجر[131]:" إذا رأيتني قد مِلت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني ثم قل يا عمر ماذا تصنع؟[132].

وهذا من حرصهم على الحق وخوفهم من الله والوقوع في آفة الكبر ولو كان عندهم الكبر، لما قال أحدهم ما قال ولما تراجع فيما تراجع فيه سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم أجمعين.

أثر الكبر في رد الحق وعدم قبوله:

الكبر له أثر بالغ في الحياة فمنذ أن بدأ الله خلق آدم، تكبر إبليس -عليه اللعنة- على أمر الله وأبى السجود، قال تعالى:﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[133] فكان الكبر السبب في حلول اللعنة عليه وطرده من رحمة الله مذموماً مدحوراً، قال تعالى:﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾[134].

واستكبر فرعون -عليه اللعنة- فأغرقه الله وجعله لمن خلفه آية، قال تعالى:﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ* وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ** ﴾[135].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره:" استكبروا) طغوا وتجبروا وأكثروا الفساد في الأرض ورفضوا الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، واعتقدوا أنْ لا قيامة ولا ميعاد فأغرقهم الله في صبيحة واحدة، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فلم يبق منهم أحد وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) أي شرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله وكما أنهم في الدنيا ملعونين على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلكويوم القيامة هم من المقبوحين)"[136].

وقال القرطبي:" واستكبر: تعظم هو وجنوده عن الإيمان بموسى -عليه السلام- وتوهموا أن لا بعث ولا ميعاد " وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة، أي أمرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم، وقبل ذلك ألزمناهم اللعن أي الطرد والبعد عن الخير، ويوم القيامة هم من المهلكين. وقال ابن عباس ومن المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون"[137].

---

131 عمر بن مهاجر: ذكره البخاري في التاريخ الكبير برقم 2158 في صغار التابعين قال أبو نعيم : حدثنا سفيان عن عمر الأنصاري: رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي جالساً متربعاً ت 139هـ انظر التأريخ الكبير-البخاري- ت السيد هاشم الندوي-دار الفكر-بيروت-بدون تأريخ 197/6

132 ابن الجوزي- كشف المشكل من أحاديث الصحيح ت علي حسين البواب – دار الوطن 1997 - الرياض 76/1

133 سورة البقرة الآية 34

134 سورة الحجر الآية 35

135 سورة القصص الآيات 39 - 42

136 ابن كثير 213/4

137 القرطبي 290/13

EDITORIAL

وكان من جزائهم على كبرهم :﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[138] وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام القرطبي:" يقول الله تعالى مبيناً سوء العذاب الذي حل بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله، النار يعرضون عليها، أي أنهم لما هلكوا وأغرقهم الله جعل أرواحهم في أجواف طير سود فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدواً وعشياً إلى أنْ تقوم الساعة"[139].

وفي خطبة بليغة يبين الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أثر الكبر ويحذر منه حين تكلم عن تكبر إبليس عليه اللعنة قال:" اعترضته الحمية فافتخر على آدم -عليه السلام- بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المتكبرين، وهو الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وأدرع لباس التعزز، وخلع رداء التذلل، ألا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدَّ له في الآخرة سعيراً، ولو أراد الله أن يخلق آدم من نورٍ يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رداؤه، وطيبٍ يأخذ الأنفاس عرفه، لفعل!! ولو فعل لظلَّتْ له الأعناقُ خاضعةً، ولكن الله يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاءِ منهم، فاعتبروا بما كان من إبليس إذ أحبط الله عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا ندري من سني الدنيا أم من سني الآخرة، فمن ذا بعد إبليس يسلم من الله بمثل معصيته؟؟ كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به منها من كان مع الملائكة، إنَّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد وما بين الله وبين أحد هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين"[140].

فأثر الكبر عظيم وعاقبته وخيمة وهي الخلود في النار وحلول اللعنة، وفيه تشبهٌ بشرّ الخلق إبليس عليه من الله اللعنة.

ويتضح لنا من دراستنا أنَّ الكبر من الأمراض الأخلاقية الخطيرة الشائعة في الأوساط الاجتماعية التي سرت عدوتها وطغت مضاعفاتها على المجتمع والفرد وغدا يعاني منها الكل.

آثاره على الفرد:

نجد أنه متى استبد الإنسان أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجنَّ بالأنانية وحب الظهور فلا يسعده إلا الملق، والمدح المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهذيب نفسه، وتلافي نقائصه مما يجعله هدفاً لسهام النقد وعرضة للمقت والازدراء.ولهذا نجد فرعون -عليه اللعنة- عندما استبد

---

138 سورة غافر الآية 46

139 الطبري 46/24

140 الزمخشري محمود بن عمر - ربيع الأبرار-- الطبعة الأولى- القاهرة- 1393هـ 64/1 .

EDITORIAL

برأيه ذهب بعيداً جداً فقال:" أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"[141]. هذا إلى جانب أنَّ المتكبر أشدَّ النَّاس عُتُواً وامتناعاً عن الحق والعدل ومقتضيات الشرائع والأديان.

أثر الكبر على المجتمع:

الكبر على خطره يشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء ويُعكِّر صفو العلاقات الاجتماعية، فلا يسيء الناس ويستثير سخطهم ومقتهم إلا المتكبر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنانيته.

علاج الكبر:

يبدأ علاج الكبر أولاً بالوعي بقبح هذا الخلق وضرورة تعديله، وقد قدَّم القرءان الكريم العلاج الناجع لهذا المرض، قال تعالى:**﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾**[142].

بعد أنْ يعرف الإنسان أنه مصاب بهذه الآفة: فيستعيذ بالله أولاً من الكبر وليلجأ له وحده سبحانه فهو القادر بتزكية هذه النفس لأنه الذي أعلم بها، قال تعالى:**﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾**[143].

فإذا تغيرت نظرة الإنسان لهذا الداء وأصبحت موازينه للحكم عليه هي موازين الإسلام، اجتهد للتخلص منه بخطوات العلاج العلمي والعملي.

فالعلاج العلمي هو الاستفادة من القرءان الكريم والسنة، وأن يعدل أفكاره عن نفسه ليكوّن نظرةً صحيحةً عن ذاته، وفقاً لنظرة الإسلام للإنسان، وليعلم أنه الضعيف الفقير الذليل الذي ما يلبث عمره أن ينتهي في أي لحظة وما يلبث أن

يمرض بأصغر وأقل فيروس أو بكتيريا وما يلبث أن ينقطع جهده بأقل مجهود أو عمل، قال تعالى:**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾**[144] فقراء في كل شيء.

وقد نصح الإمام الغزالي المريض بداء الكبر:" أنْ يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في إزالة الكبر، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذلّ من كل ذليل، وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع"[145].

---

141 سورة النازعات الآية 24

142 سورة غافر الآية 56

143 سورة النجم الآية 31

144 سورة فاطر الآية 15

145 الغزالي باب بيان الطريق في معالجة الكبر 45/3

EDITORIAL

وقد فشلت جميع الأدوية البعيدة عن الإيمان في علاج الكبر؛ لأنَّه ينمو في بيئة الأثرة وحب الذات. أما العلاج الإيماني هو النافع فيه، إذ أنه يأمر بالحرص على مصلحة الآخرين والتواضع وخفض الجناح لهم، قال تعالى:﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[146].

إنَّ الموازين الإسلامية القائمة على التفاضل بالتقوى والعمل الصالح هي التي تمنع التكبر بالمال والنسب والعلم والجمال، فيدخل علاج الكبر في منظومة متكاملة لتربية الشخص على التعامل بموازين الإسلام في الحياة.ومن علاج الكبر مقاومة مظاهره السلوكية بالمواظبة على الأخلاق الحميدة مثل التواضع والإطلاع على سِيَر المتواضعين والتأسي بهم ومحبة أهل التواضع. وجديرٌ بكل عاقلٍ أنْ يجتهد في علاجه وليحذر نفسه منه ويطهرها، وإليك مجملاً من النصائح العلاجية التي تساعد في نفي الكبر عن المتكبر:

أن يعرف المتكبر واقعه وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز، فأوله نطفة مذرة، وأخره جيفة قذرة، وهو بين ذلك يحمل العذرة. وهو في كل ذلك واهن عاجز يرهقه الجوع والعطش ويعتريه السقم والمرض، وينتابه الفقر والعرض، ولا بد له من الموت والبلى، لا يقوى على جلب المنافع ولا على رد المكاره، فحقيقٌ بمن اتصف بهذا الوهن أن ينبذ الأنانية والتكبر مستهدياً بالآية الكريمة:﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[147].

أن يتذكر مآثر التواضع وفضله ومحاسنه، ويتذكر مساوئ الكبر وسوء عاقبته وما ترادف في مدح التواضع وذمِّ الكبر والتنفير منه من دلائل العقل والنقل، قال الأصفهاني:" وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمدُ من الكبر مع الأدب والسخاء، فأنْبِل بحسنةٍ غطَّتْ سيئتين، وأقبح بسيئة غطَّتْ حسنتين"[148].

أن يحرِّض نفسه على التواضع والتخلق بأخلاق المتواضعين لتخفيف حِدة الكبر في نفسه، وإليك معينات على ذلك:

أ/ العاقل في المساجلات والمناظرات وعند احتدام الجدل جديرٌ به أنْ يذعِن لمناظره بالحق إذا ما ظهر عليه متفادياً نوازع المكابرة والعناد.

ب/ أنْ يتفادى مناظرة الأقران في السبق إلى دخول المحافل والتصدر في المجالس.

ج/ أن يخالط الفقراء والمساكين والبؤساء ويبدأهم بالسلام ويؤاكلهم على المائدة ويجيب دعوتهم متأسياً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا فيما يبدو مما له فائدة عظيمة في علاج هذا الداء والله أعلم.

الخاتمة

---

146 سورة الحجر الآية 88

147 سورة القصص الآية 83

148 الأصفهاني -محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ت:عمر الفاروق الطباع- ط1- دار الأرقم- القاهرة- 2001م ص 427

EDITORIAL

لابد لي قبل أن أضع القلم أن أضع بين يدي القارئ خلاصة مفيدة لهذا البحث، ولأهم النتائج التي توصلت إليها، تجمع شتاته، وتقرب شأوه[149]، وتذكر مراميه، وقد كتب الباحث في هذا البحث عن تعريف الكبر وأنواعه وأثره وعلاجه كل ذلك من خلال عرض القرءان الكريم لهذه القضية. وبهذا يكون قد تحقق لنا المقصد من إنزال القرءان الكريم وهو تطبيقه عملياً. والعمل بما فيه من شرائع وأحكام. وقد اتضحت لنا خلال هذا البحث كثيرٌ من المبهمات التي قلَّ ما تنكشف عن طريق آخر.منه خطورة داء الكبر وأثره الدنيوي والأخروي وقد يتسبب في مقته عند الله وعلاجه يبدأ بمعرفته.

ومع هذا فأنا لا أدَّعي كمالاً، فلابد للقارئ أن يتمنى أشياءَ لو أنَّي فعلتها، ولابد أنْ يخالفني في بعض ما قلته، أو توصلت إليه، أو رجحته. وقد أوصى الباحث على انه لابد من الاهتمام بكتاب الله والإقبال عليه تلاوةً وحفظاً وتدبراً وعملاً فهو المنبع الفياض لكل فكر إسلامي. وأوصي بالاهتمام بقضية التفسير الموضوعي لأنها تبرز وجوه جديدة من إعجاز القرءان الكريم، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة - من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري - وجدها المفسر جلية في آيات القرءان لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرءان الكريم، فيسجل عندها سبق القرءان الكريم إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه. والتأكيد على أهمية تفسير القرءان بالقرءان، الذي هو أعلى وأجلّ أنواع التفسير، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلى القرءان عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه. قد اجتهد سلف هذه الأمة كثيراً وقاموا بإنجازات كبيرةٍ في شتى المجالات وقدموا عصارة فكرهم وجهدهم في خدمة الأجيال التالية. وأرى من الواجب علينا أن نحافظ على تراثهم، ومن حقهم علينا أنْ نواصل السير في طريقهم، وأن لا نركن إلى الدنيا، وننبهر بالحضارات الزائفة، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وأنْ نبذل – اعترافاً بالجميل- بعض الجهد والمال والوقت من أجل أنْ ينتفع الخلف بنتاج السلف.

149 شأوه : أي بعده والشَّأو: الغاية شأوث القوم، أي: سبقتهم انظر -الفراهيدي للخليل بن أحمد كتاب العين 14/2

EDITORIAL

فهرس المصادر و المراجع

1) القرءان الكريم
2) ابن الجوزي لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي - كشف المشكل من أحاديث الصحيح-- ت علي حسين البواب – دار الوطن 1997
3) ابن عاشور محمد طاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - - دار سحنون- تونس- بدون تأريخ
4) ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ---دار حياء التراث- بيروت
5) ابن كثير ابو الفداء اسماعيل بن عمر - تفسير القران العظيم --- تحقيق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة 1999م .
6) ابن منظور محمد بن مكرم لسان العرب -دار صادر –بيروت - –الطبعة الأولى –بدون تأريخ.
7) أبو حيان محمد بن يوسف-البحر المحيط --- الطبعة الثانية – دار المعارف – بيروت 1398ه
8) أبو داوود محمد بن عيسى-السنن– ت.احمد سعد على –الطبعة الأولى – الحلبي- مصر- 1371هـ .
9) الأصفهاني ابي القاسم الحسين بن محمد- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء- ت:عمر الفاروق الطباع- الطبعة الأولى- دار الأرقم- القاهرة- 2001م.
10) البابانى إسماعيل بن محمد - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين–دار إحياء التراث العربي-الطبعة الأولى –بدون تأريخ
11) البخاري محمد بن إسماعيل
- التأريخ الكبير- -ت السيد هاشم الندوي-دار الفكر-بيروت-بدون تأريخ .
- الجامع الصحيح --- طبعة الحلبي – مصر - والطبعة السلطانية -دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تأريخ.
12) الدار قطني علي بن عمر أبو الحسن - السنن ---ت هاشم يماني الدمني -الطبعة الأولى –دار المعرفة-بيروت-1966م.
13) الرازي أبي عبد الله محمد بن عمر-التفسير الكبير - المسمى مفاتح الغيب – الطبعة الأولى – المطبعة البهية– مصر.
14) الصفدي -الوافي بالوفيات --- مؤسسة النشرات الإسلامية - الطبعة الأولى- ألمانيا –بدون تأريخ
15) الطبراني -المعجم الكبير الطبعة الأولى -دار إحياء التراث العربي- بدون تأريخ.
16) الطبري محمد بن جرير- جامع البيان في تفسير أي القرءان- دار المعرفة – بيروت -1398هـ.

EDITORIAL

17) الطحـاوي أحمـد بـن محمـد بـن سـلامة مشـكل الآثـار ت - شـعيب الأرنـؤوط - مؤسسـة الرسـالة- الطبعة الأولى -1415 هـ

18) الغزالي محمد بن محمد بن محمد- إحياء علوم الدين -- دار المعرفة – بيروت- بدون تأريخ

19) الفراهيدي الخليل بن أحمد -كتاب العين،دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003م ، 1424هـ

20) القرطبي ابي عبد الله - الجامع لأحكام القرءان – دار الكتب – القاهرة-1387هـ.

21) مسـلم الإمـام مسـلم بـن الحجـاج بـن مسـلم - الجـامع الصـحيح - ت.محمـد فـؤاد عبـد البـاقي-طبعـة الحلبي – 1374هـ.

22) مسند الإمام احمد بن حنبل الشيباني -دار إحياء التراث الإسلامي- بيروت –دون تأريخ .

المواقع الالكترونية:www.gulflobby.com/lobby.